سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

لقاء الوزير
بالأئمة والخطباء بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أمَّا بعد..

فإنِّي أحمدُ الله جل وعلا إليكم، وأُثني عليه الخير كلَّه، علىٰ ما أنعم به علينا من نعمة الإيمان والاستقامة علىٰ السنة ما استطعنا، وأسأله سبحانه أن يثبِّتنا علىٰ الحقِّ في الأقوال والأعمال، وأن يجعل ما قصَّرنا فيه أو زللنا من الخطأ والنسيان، وهو معفوٌّ عنه.

ثم إنِّي أعبر عن سروري الكبير بمثل هٰذا اللقاء الذي ألتقي فيه بين الحينة والفينة والأخرىٰ مع من نحبّ من أهل العلم وطلبة العلم وحفظة القرآن؛ خطباء المساجد وأئمتها.

وهٰذا اللقاء من تلكم اللقاءات التي روحها الأخوة والتشاور والتعاون في ظلال وارفة من كتاب ربنا جل وعلا وسنة النبي ﷺ وهدي السلف الصالح رضوان الله عليهم .

ثم إني لأشكر لفضيلة المدير العام فرع الوزارة منطقة المدينة المنورة الأخ الشيخ عبد الرَّحمٰن مويلحي ومن معه في الفرع، الحرص علىٰ تنظيم هٰذا اللقاء، مع قصر وقت إبلاغهم به.

وأعتذر أيضا عن التأخر وسببه أني أبلغت أن موعد اللقاء يبتدئ الحادية عشر والنصف، وللتو وصلت من المطار، فأتيت في الموعد.

أيها الإخوة لاشك أن المؤمن بعامَّة وأهل القدوة من طلبة العلم والخطباء والدعاة والأئمة بخاصة لابد لهم أن يتشاوروا بين الحين والآخر فيما هم فيه من حال؛ ليكون ثمَّ مراجعة للأعمال الصالحة ليستقام عليها ويتواصىٰ بها، ولما قد يختلف فيه الاجتهاد، فيرشد المرء إلىٰ ما فيه الأصلح والأنفع لنفسه ولدينه ولأمَّته.

والمرء في نفسه ضعيف، وإذا كان ثَمَّ مشورة ورعاية للحدود ولقواعد الشرع فإنه يقوىٰ؛ لأن سقطات المرء دائما في ما يخالف فيه الجماعة، وهٰذا إذا كانت الجماعة مستقيمة علىٰ الهدىٰ وهدي السلف الصالح الذين شهد لهم النبي ﷺ بالخيرية في قوله: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

ولاشك أنَّ عِماد المُدركات صحة العلم وصحة العقل الذي به تدرك الأمور، وصحة العلم يقتضي الاستقامة علىٰ الهدي الصحيح، وصحة العقل تقتضي البصر لمدركات الشرع وللمصلحة ومآلات الأمور.

ولذلك كان من المهم جدا لطالب العلم ولمن يلي أي أمر من أمور المسلمين مما يكون عمله فيه متعديا إلىٰ غيره وليس قاصرا علىٰ نفسه أن يكون حِرْصُه علىٰ مقتضيات العلم ومقتضيات حسن التصور

والإدراك والعقل كبيرا؛ لأن بهما يصح الأمر وتستقيم الأحوال.

فالعلم فضله عظيم لذلك لم يأمر اللهُ جل وعلا نبيَّه ﷺ أن يستزيد من شيء إلا من العلم ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[طه]، والعلم أهله مرفوعون عند الله جل وعلا؛ لأنهم أهل استقامة، وأهلُ الاتباع فيما استطاعوا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١].

وأهل العلم الذين يحرصون علىٰ العلم النافع ويُدركون معاليه، أي معالي الكتاب والسنة وما كان عليه الأئمة فإنهم قناديل خير للناس في أقوالهم وأعمالهم، فهم القدوة وهم أهل الرشد والسداد.

وإذا كان المنتسبون للدَّعوة وللمساجد من الخطباء والأئمة من حملة العلم ومحصِّليه فإنه يكون الاقتداء بهم والانتفاع بهم أكثر «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**»، والأقرأ يشمل قراءة القرآن والفقه فيه وحسن السُّلوك.

ولإدراك العقل للأمور لابد منه؛ لأنه بلا عقل للأمور وعقل للأحوال فإنَّه قد يُنزَّل العلم علىٰ غير تنزيله، وقد يتأول علىٰ غير تأويله، ولذلك كان ممَّا يشترط أهل العلم فيه هٰذه المدارك، فقد يكون فلان أكثرَ تحصيلا من فلان؛ لٰكِن الآخر أنفع لأنه أكثر إدراكًا لما ينفع الناس، ولما فيه مصلحة الأمة في حاضرها ومستقبلها.

وهٰذا به تحصل أمورٌ كثيرة من الخير، والعلم واسع وأبوابه كثيرة، وأيضا ما فيه تدرك الأمور، وتعرف الأحوال وصحَّتُها أمورٌ كثيرة متنوعة.

أما **الأول وهو مجال العلم**؛ فإن العلم النافع الذي ينفع صاحبه، الذي يكون مستنِدًا إلىٰ كلام الله جل وعلا، والقرآن هو الحجَّة الماضية والحاضرة والمستقبلة، القرآن هو الذي به يكون الاستدلال، ويكون البيان ويكون الاحتجاج، ببيان السنة وفهم أئمة التفسير الذين يؤتمن قولُهم في ذلك.

ولهٰذا قلَّ فيما مضىٰ وفيما حضر الذين يهتمون بتفسير القرآن، حتىٰ قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: وقلَّ في زماننا من يشتغل بتفسير القرآن. وكلمة ابن تيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ معروفة من قوله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلت عمري في تفسير القرآن.

وهٰذا حاصل فإنَّ مزيد الفقه في القرآن ضعُفت فيه الأمة، فحملة القرآن أولىٰ أن يكون عنايتهم وتوجُّههم إلىٰ معرفة والعلم به، وأن يكون هناك حمل للقرآن دون معرفة لمعانيه وتفسيره ولكلام أهل العلم عليه ومواقع الاحتجاج به، فإنه يصابُ المرء إذا قصَّر في ذلك.

لهٰذا في بعض الخطب وبعض المواعظ نجد الاستدلال بالقرآن قليلا، والاستدلال بالسنة أو بالأقوال كثيرا، وليس هٰذا راجعًا إلىٰ قلة ما في القرآن مما يكون شاهدًا أو دليلا لما أورده؛ ولٰكِن لأجل قلة العناية.

القرآن فيه الدليل لما يَحتاج إليه الناس، لذلك أصلح الصحابةَ رضوان الله عليهم.

والسنة وحي وهي بيان للقرآن وموضحة له، ودليل من الأدلة التي دل عليها القرآن ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[آل عمران]، وهنا الفقه في القرآن يحتاج إلىٰ بصر، ولذلك من تأمل القرآن زاد

علمه.

الوصية الأولىٰ هنا أن يكون عنايتها بالفقه بالقرآن أكثر، والحرص علىٰ معرفة معانيه، وأن ترقق القلوب بهذا القرآن؛ لأنه الحجة، والذي يكون اهتمامه بالفقه في القرآن أقل يصيبه شيء من إما من قسوة القلب أو عدم إدراك العلم أو عدم صحة اللسان أو إلىٰ آخره، وهٰذه مشهودة.

أما العلم الذي دل عليه القرآن ففي القرآن كل العلوم، وأعظمها وأكبرها شأنا توحيد الله جل وعلا، والعقيدة الصحيحة، فإن في القرآن التوحيد واضحًا، وإن في القرآن العقيدة واضحةً جليّة.

ولذلك أصيب من أصيب في عدم الاحتجاج بالقرآن في أبواب التوحيد والاعتقاد مع وضوحهما فيه.

ثم في القرآن الحثّ علىٰ اتِّباع النَّبيِّ ﷺ والحرص علىٰ السنة.

وفي القرآن الحثّ علىٰ الرجوع إلىٰ أهل العلم، إذا أشكل علىٰ المرء مسألة وأراد تبيان الحكم فيها.

وفي القرآن الحث علىٰ ملازمة جماعة وطاعة ولاة الأمور في غير معصية الله تعالىٰ.

وفي القرآن الحث علىٰ الاجتماع وعدم التفرُّق.

وفي القرآن الأحكام الفقهية المتنوعة: أحكام الصلاة، والزكاة، والصيام، وأحكام الحج، وأحكام البيوع وأحكام النكاح والطلاق والقصاص إلىٰ آخره.

وفي السنة بيان لما في القرآن؛ لٰكِن أصول الأحكام في القرآن العظيم.

وفي القرآن الأخلاق التي يتخلّق بها المسلم في جميع أحواله، حتىٰ في إشارة العين، وحتىٰ تحريك اللسان.

ففي القرآن الهدىٰ كلُّه لمن أراده.

وحريٌّ بنا أن يكون توجيه الأمة، توجيه الناس توجيه المسلمين منطلقًا من أدلة القرآن العظيم، فالحجة تكون حينئذٍ عندك أقوىٰ، وإذا تلوت الحجة بلسانك بمزيد من الآيات، فإن المتلقِّي لا يمكنه إلا التسليم، ولذلك كلمَّا زادت الاحتجاجات والأدلة عندك من كتاب الله جل وعلا في مسألة، فإنك بذلك تقوّي حجتك بحيث يتأثّر السامع ويقبل.

ثم إنَّ القرآن يفتحُ عليك أكثر وأكثر إذا أردت معرفة الأدلة منه.

فهٰذا من العلم المهم الذي ينبغي لنا أن نحرص عليه، والكلّ من حملة القرآن إمَّا حملته كله، وإما من حملة بعضه؛ ولٰكِن الحرص علىٰ القرآن عظيم، وبه صلاح الناس.

ولذلك فإنَّ الخطيب لا يَحسُن به أن يقلَّ استدلاله وإيراده لكلام الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه وأن يكثر من كلام نفسه -من كلام الخطيب-، وهٰذا ملاحظ في الخطب في المواعظ، صار كلام الخطيب أو كلام الداعية فيما يقوله هو أكثر من الاستدلال الذي يستدل به أو يستشهد به، وخطب الجمعة والمواعظ يُراد به التأثير ليست مناقشات فكرية، ولا مساجلات عقلية، ولا حوار، هٰذه الخطبة عبادة ينقل فيها للناس ما أمَرَ الله جل وعلا به، والموعظة وذلك في الاستدل بالقرآن الكريم.

ولذلك من تأمل خطب النبي ﷺ وجدها قصيرة مشتملة علىٰ آيات كثيرة، والقرآن فيه العظة

والعبرة.

لذلك ينبغي لنا أن نحرص علىٰ هٰذه المسألة، وهي أننا إذا أردنا أن نخوض خطبة أو موعظة أو ما أشبه ذلك فإننا نكون مستدلين بالقرآن كثيرا، حتىٰ في الفقرات التي تريد أن تعدها للخطبة تكون منطلقة من القرآن ومن آي القرآن، فستجد انشراحا في الصدر، وسهولة في الإعداد وستجد تأثيرا علىٰ الناس؛ لأن القرآن يلقح القلوب وتتأثر به، أما كلام البشر منا فإنه يذهب، فإذا كان مع القرآن بيانه من سنة النبي ﷺ فإنَّ البيان يتَّضح أكثر، ثم يكون من الشرح والإيضاح ما هو مناسبٌ لذلك.

من العلم المطلوب أيضا للخطيب والإمام والداعية العلم بالسنة سنة النبي ﷺ خاصة فيما يزاوله هو من العمل: في الخطية، وقت الصلاة، في الإمامة، ماذا يقرأ إلىٰ آخره.

وهناك بعض السنن هجرت وتركت لأجل عدم العلم بها أو لأنه قل العمل بها هٰذا ينبغي الإمام أن يتعاهد ذلك.

من أمثلة ذلك مثلا في القراءة والظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر بماذا يقرأ؟ كم طول الصلاة؟ فإن هدي النبي ﷺ كان ظاهرا في ذلك، كان هديه الغالب عليه أنه كان يقرأ في مثل المغرب بقصار المفصل، وفي العشاء بأواسطه، وفي الفجر بطواله، وربما قرأ علىٰ قلة غير ذلك؛ لٰكِن الأصل في ذلك قراءة المفصّل.

والمفصل مهم لأن آيه قصيرة؛ ولأن فيها تحريك القلوب، فيها مواعظ، فيها ذكر التوحيد والآخرة والنبوة، وفيها انقسام الناس، وفيها آيات الله جل وعلا الكونية، وفيها مخلوقات الله وما يحصل يوم القيامة، فتأثيره علىٰ الناس برقة القلوب وإصلاحها والوجل أعظم؛ لأن الآيات الطويلة قد لا يدرك الناس معناها ويقتصرون علىٰ سماع دون الإدراك، أما المفصل ففيه ما فيه من المعاني العظيمة في توحيد الله جل وعلا والنبوة واليوم الآخر وآيات الله جل وعلا الكونية وفي الأنفس إلىٰ آخر ذلك.

السنة في تعامل الإمام مع الناس، النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في مسجده كان هناك حلق علم، هو كان يتحدث بالعلم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ويتحلَّق الناس حوله، وكان هناك من يقرئ القرآن في مسجده -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولذلك إحياء المساجد بما جاءت السنة من حلق العلم وحلق القرآن هٰذا من الاهتمام بالسنة، والحرص عليها.

والمسجد الذي يقل فيه ذلك أو لا يوجد فإنه قد خالف، فينبغي لصاحبه أن يحرص بقدر المستطاع أن يكون هناك من يعلِّم الناس، من يقرئ القرآن، إذا كان هناك من يقرئ القرآن فإنه سيأتي كبير السن ويقول صحح لي قراءتي ويأتي الصغار يقرؤون عليه، يكون في ذلك فائدة كبيرة لهم ولبيوتهم.

كذلك من هديه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في إمامته للناس في مسجده أنه كان يؤلِّف الناس ولا ينفِّرهم، كان يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «واقتد بأضعفهم»، ويقول: «أيكم أمَّ الناس فليخفف، فإن وراءه المريض والضعيف وذا الحاجة».

إذا كان كذلك فإن عدم رعاية الإمام لمن وراءه، يقرأ بما يراه، يختار هو دون أن يفكر ببعض الكبار،

بعض العجزة، بعض الناس الذين قد يتعبون من ذلك، فإنهم خالف.

وكذلك إذا كان في موقع مهم مثل داخل أسواق أو بالقرب من مستشفيات ونحو ذلك فينبغي أن يراعي الحال بحسب ذلك.

والسنة فيها سعة ولله الحمد، والنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قد علمنا وأرشدنا.

كذلك في خلق مع من يخطئ في المسجد، جماعة المسجد ليسوا علىٰ إدراك واحد، ولا علىٰ نفسية واحدة، ولا علىٰ نمط واحد، فلا بد أن يكونوا مختلفين في إدراكاتهم، مختلفين في تعاملهم أحدهم، يشتد في مسائل، وآخر تجده يريد كذا والثالث يريد كذا، فالإمام يكون مؤلفا وصابرا وغير منفر إذا كان علىٰ هٰذه الحال، فإن الصبر عليهم وحُسن الكلام معهم واسترضاءهم هو الأصل، لا يقول الإمام: الحق لي أنا، هٰذا معاند، وهٰذا فيه، وهٰذا يفعل. ولايذهب يسترضيه. لأن إمام الناس للناس وهم عنه راضون فيها فضل عظيم، وإذا كان هو لا يهتم بمن وراءه فإنه حينئذٍ يكون مقصِّرا فلا بد أن يكون قدوة في ذلك، **وإذا كان أخطأ أحدهم فبحسن تعليم.**

رفع أحد الصحابة صوته بقراءة سورة حتىٰ داخلت قراءته قراءة النبي ﷺ، فلما انصرف النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: «أيكم قرأ سورة كذا وكذا؟» فقال أحدهم: أنا يا رسول الله. فقال: «قد علمت أن أحدكم خالجنيها» المتلقِّي فهم أنه أدخل قراءته أو أثر علىٰ قراءة النبي ﷺ برفع صوته؛ لٰكِن تعبير النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ماذا قال: « قد علمت أن أحدكم خالجنيها» ولم يقل: أنت يا المعترض أمامي، هٰذا فيه اللين وفيه العظة والمتلقي يتنبَّه.

فإذا كان الإمام وخطيب المسجد إذا لاحظ أشياء نبه عليها بأسلوب حسن رقيق، فإن بعض الإشارات أبلغ من بعض العبارات، والحرُّ تكفيه الإشارة.

وإذا عُلم من الإمام الرقة فإن الناس يستحيون منه لكريم خلقه؛ لٰكِن إن علم منه الشدة فإن الناس يعاندونه، وهٰذا مجرَّب وحاصل.

لما أتىٰ الرجل وبال في المسجد، قام الصحابة عليه فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لهم: «لا تزرموه»، دعوه حتىٰ يكمل، ثم لما أكمل نبَّهه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فإذن القوة وكما يقال: شخصية الإمام في مسجده ليست بترفّعه علىٰ جماعة المسجد، أو كما يقال تكبره عليهم أو عدم رعاية أحوالهم، إنما يكون ذلك بحبِّهم له واحترامهم له.

وهٰذه مواقف يعطيه الله من شاء وأساسها الصدق مع الله جل وعلا والاتباع، فإذا كان النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في هٰذا المقام ينبِّه بهٰذه العبارات ويمدح أحدهم، ويوجه الآخر، فإننا في مجال القدوة، ولابد لنا في ذلك ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب:٢١]، قد ذكرت أكثر من مرة أن تصرفات النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- متنوعة، وهو عليه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يتقرَّب في أقواله وأعماله تارة باعتباره نبيًّا يوحىٰ إليه، وتارة باعتباره إمام المسلمين، وتارة باعتباره قاضيا، وتارة باعتباره مفتيا، وتارة باعتباره مرشدا، حينما قالت له: أأمر يا رسول الله؟ قال: «لا»، إذن لا حاجة لي به، فهو

إرشاد، فهو تارة يكون ناصحا، وتارة كون مربيا، فهو القوة -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في أحواله كلها لجميع الناس؛ للإمام، للحاكم، وهو قدوة للقاضي، وهو قدوة للمفتي، وهو قدوة للمجاهد، وهو قدوة للمعلم، وهو قدوة للداعية، وهو قدوة لإمام المسجد وخطيبه؛ لأنه كان إماما وخطيبا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أتىٰ مرة إلىٰ المسجد فوجدهم قد صلّوا؛ يعني قد دخلوا في الصلاة، وكان ذهب -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ليصلح بين فريقين من المسلمين، فلما أتىٰ وصلىٰ وقضىٰ ما فاته، ولم يعنِّف الإمام الذي صلىٰ، حتىٰ لا يتأخر الناس، وهٰذا فيه عبرة.

إذن ففي السنة من أحوال المتعلقة والخطيب الشيء الكثير، خطبه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لم يكن فيها إلا الموعظة، كان قد أورد جماعة من أهل العلم خطبه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وأكثر ما فيه مواعظ والتذكير بالآخرة، وهٰذا مهم لأن صلاح الناس بالتذكير بالآخرة والخوف من الله جل وعلا.

فإذا كانت الخطب تتحول إلىٰ ثقافة، وإلىٰ إيرادنا لإحصائيات، أو إلىٰ موجز لأهم الأنباء فإنه خروج في ذلك عن السنة بوضوح، والناس لا يستفيدون، ومن ثَمَّ لا يحترمون الخطيب؛ لأنه ينقل ما يسمعون هم، هم يسمعون الأخبار في بيوتهم الخبر الواحد يسمعونه عشر مرات، فيأتي الخطيب يكرر! ليس كذلك.

إذا أراد أن يعالج شيئا من أمور التي تهم المسلمين في واقعهم يكون ذلك علىٰ نحو ما ينشر ويقال من ذكر وسرد لأمور وذكر لأسماء من أسماء فلان وفلان، وإنما يذكرها منوطة بالدليل وبفقه الدليل وتعلقه بالمسألة الواقعة.

حتىٰ الخطيب إذا زازل هٰذا الأمر فإنه يجد من نفسه نشاطا ليتسع فيه مدركاته.

في خطبه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كان إذا خطب الخطب المنبرية -يعني غير الجمعة- وأراد أن يرشد أحدا قد خالف فإنه لا يسميه باسمه، ولا يصفه بصفة تنطبق عليه، وإنما كان يقول: ما بال رجال يقولون كذا وكذا، ما بال أقوام يقوون كذا وكذا، وهكذا، وهٰذا فيه تحصيلٌ للنصيحة وللبيان وفيه بعد عن الإثارة وما يشرح الصدر أو يشتت القلوب.

الأمر الثاني مما يعتني طالب العلم ولداعية والخطيب والإمام في العناية بالحكمة والعقل والإدراك؛ لأنه لا يمكن أن تسير في الحياة إلا بهدي من القرآن والسنة وبعقل صحيح تميز فيه بين الأمور، فإدراك الأمور وعقل الأشياء مهمة جدا، بل لا يمكن أن ينجح أحد إلا بها بعد توفيق الله جل وعلا.

من معالم مدركات العقل والحكمة في ذلك:

أولا الاهتمام بالمصالح الكثيرة ولو فاتت مصالح صغيرة، والاهتمام بدرء مفاسد كبيرة ولو وجدت مفاسد قليلة، هٰذه من القواعد العامة؛ لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، تكثير المصالح والمصالح الكبيرة قد يأتي، العاقل ليس هو الذي يميز السيئ من الحسن، وإنما كما قال بعض الحكماء: العاقل هو الذي يعرف خير الخيرين وشر الشرين، أما يشترك فيه الناس ﴿

وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾[البلد]، طريق الخير وطريق الشر، لٰكِن العقلاء الحكماء القدوة طلاب العلم من أمثالكم، هؤلاء لابد أن ينمُّوا في أنفسهم بإدراك ومعرفة مات المصالح في إدراك العقل والحكمة والفهم للأمور.

ذكرنا الأمر الأول فيما فيه تعارض لحسنتين مصلحتين، فيه مصلحة لٰكِن انظر المصالح الأكبر، يأتينا بعض الإخوة ومناقشه في بعض خطبه أو في بعض كتاباته، نقول: أنت الذي ذكرته صحيح وحق ، لٰكِن ما نظرت إلىٰ ما هو أعظم منه، إلىٰ ما هو أكثر مصلحة منه، وليس الشَّأن في أن ما ذكرته أن يكون صوابا أو يكون غلطًا، لا هو صواب في نفسه؛ لٰكِن ما نظرنا فيما يقابله وفيما يكون معه نرجح أن لا تنشر هٰذه الأشياء؛ لأن هناك أمور أخرىٰ لا تدركها. أو هناك أمور أكثر مصلحة من ذلك.

إذن ففي تنازع المصالح ينبغي أن يكون عندنا دربة في معرفة المصالح الأكثر، وفي تنازع المفاسد يكون عندنا دربة في معرفة المفاسد الكبرىٰ والمفاسد الصغرىٰ.

الأمر الثاني مما يكون مهما في المدركات وفي العقل في معرفة الأمور والواقع والأحوال: الاهتمام بالمآلات، الاهتمام بالغايات، الاهتمام بالنهايات، المبتدأة في الأمور؛ بادئ الأمور، أول الأمور هٰذه يدركها الأكثر؛ لٰكِن المآلات إنما يقتنصها بنور الله جل وعلا العقلاء، لذلك لا يحسن لعاقل مطلقا ولا لطالب علم أن ينظر في أمر باعتبار ما ألقي عليه، أو بما حصل، دون أن ينظر في المآلات والغايات، قد يكون الشيء في نفسه صحيحا؛ لٰكِن إذا نظرت في مآله منعته، قد يكون في نفسه يقول: أنا أجتهد؛ لٰكِن فيما يؤول إليه الاجتهاد يمنع، فإذن المآلات معرفتها مهمة .

بعض الناس يأتي يقول: ما فيه شيء، يستعجل حتىٰ في الحكم علىٰ المآل، لماذا؟ لأنه لا يستطيع أن يدرك المآل، ليس عنده قوة فطرية لإدراك المآلات، فلذلك إذا عمل من نفسه هذا الأمر فلا يؤثِّم نفسه، فإنه كما قال ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين»: المفتي الذي لا ينظر إلىٰ المآلات لا يُدرك الصواب في المسألة.

رجل يأتيه مستفتي يقول: يا شيخ ما رأيك فيمن يقول كذا وكذا وكذا؟ هٰذا سؤال لا يصلح أولا، ولا يسوغ بمسؤول -من ألقي عليه السؤال- أن يقبل السؤال مثل ذلك فيمن يقول لابد أن يقول من القائل؛ لأنه قد يترتب؛ بل إنه يترتب علىٰ معرفة القائل أشياء في معرفة المآلات، قد يكون القول هٰذا لأحد من يترتب الكلام في قوله أشياء، إما أن يكون القول لولي أمر، أو يكون القول لمسؤول، أو يكون القول لقاض، أو يكون القول لإمام من الأئمة، أو يكون القول لأحد علماء المسلمين.. أو إلىٰ آخره. هٰذا مثال.

معرفة المآلات في الأحوال مثلايقول: نريد أن نحث الناس علىٰ الجهاد، طيب الجهاد التي تذكره هو حق في نفسه، والجهاد قائم إلىٰ قيام الساعة مع أئمة المسلمين؛ لٰكِن الجهاد الذي مآله ليست المصلحة لابد أن يقال: ليس مناسبا أن يدعىٰ .

لذلك النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما كان في منىٰ وجاءه الصحابة وقالوا: يا رسول الله لو شئت

ملنا علىٰ أهل منىٰ بأسيافنا. ماذا قال؟ قال: «لم نـؤمر بعـد»، لمـاذا؟ لأن مـآل القتـال في هٰـذا المقـال لـيس بمصلحة الإسلام.

كذلك لما جاء صلح الحديبية وكان النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ومـن معـه يريـدون مكـة، وحصـل الصلح فيما تعرفون من السيرة، وجاءت الكتابة والنبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ذكر أشـياء فغضـب عمـر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: يا رسول الله ألسنا علىٰ الحق وهم علىٰ الباطل؟ قال: «بلىٰ»، قال: علام نقبل الدنية في ديننـا؟ فأحس عمر بالقهر والضيم والغيظ والدنية، كيف نقبل الدنية في ديننا؟ وكان النظر في المآل ..